

اجتهادات رفعة وذلة

لم يعرف التاريخ الحديث حاكمًا يُختلف على تقييمه، أو قائدًا اجتمعت في شخصه وأدائه متناقضات، مثل نابليون بونابرت. فقد ارتبط اسمه بالانتصار مثلما اقترن بالهزيمة. وحفلت حياته بالمجد والرفعة، ولكنها انتهت في هوان وذلة.

قلب بونابرت أوروبا رأسًا على عقب خلال حروبه التي شنّها باسم الثورة الفرنسية، وبعيدًا عن أهدافها، على مدى 15 عامًا. حقّق انتصارات كبيرة ضد الملكيات الأوروبية، وانتصر على تحالف روسيا والنمسا والبرتغال، ثم ائتلاف بريطانيا وروسيا والسويد وبروسيا، وشيّد قوس النصر الموجود الآن في شارع الشانزليزيه لتخليد هذه الانتصارات. ولكنه لم يعرف متى يوقف حروبه وأين، وكيف يضع حدًا لشهواته السياسية في أوروبا، كما في فرنسا أيضًا، فلقى هزيمة مُذلةً في النهاية، ونفى عام 1815 أسيرًا إلى جزيرة سانت هيلانة التابعة لبريطانيا حتى رحل عام 1821 ودُفن في غير الوطن الذي أراد أن يرفع علمه عاليًا، ولم يدرك كيف يفعل ذلك.

لم ينتبه، نابليون خلال رحلته إلى دلالة خسارته مبكر وإعجاب فنانين ومفكرين أوروبيين خاب أملهم فيه. وكان في مقدمتهم العظيم بيتهوفن الذي أطلق اسمه على السيمفونية الثالثة، ولم يلبث أن غير اسمها إلى (البطولة (إيرويك).

وربما أغراه إعجاب بعض المفكرين به، فمضى فى الطريق التى كانت نهايته مُرة، خاصةً عندما قال هيجل عنه: (لقد رأيتُه: رأيت روح أوروبا على صورة جواد)، تعبيرًا عن أنه أداة التاريخ لتغيير أوروبا. وربما استمد هيجل وصفه هذا لنابليون من اسم لوحة، أو بالأحرى خمس لوحات، للفنان جاك لوى دافيد صوّر فيها الزعيم الفرنسى ممطيًا جواده.

وبرغم الخلاف العميق على نابليون، يحتفل الفرنسيون هذه الأيام بالمنوية الثانية لرحيله، لأن هذا الخلاف موجود فى داخلهم، إذ يراه الواحد منهم بطلا مغوارًا تارة وطاغية غازيًا تارة أخرى. ومفهوم أن تغلب النظرة الإيجابية إليه فى مثل هذه المناسبة، وأن يُحتفى به على مدى عام كامل (سنة نابليون) عبر أنشطة وفعاليات متنوعة أبرزها معرض أسطورى فى صالة لافاييت بُدئ فى تنظيم زيارات افتراضية إليه، قبل موعد افتتاحه الرسمى اليوم، بسبب الإغلاق الذى فرضته جائحة كورونا.